من أوله الى اخره ، وان أساليب الصهيونية في التمويه والتعمية لا تترك مجالا للتمييز بين هذه الامور وفصلها بعضها عن بعض . وبذلك يخطط الامر عليهم جميعا وينقدون قدرتهم على التفكير ويصبحون أدوات تسخرها الصهيونية لخدمة اغراضها كيفما تشاء .

ومما لا شك فيه ان يهود الولايات المتحدة ، بحكم وجودهم في بيئة أغلبيتها غير يهودية ، يتعرضون لضغط تغيرات الحياة والاراء والافكار والعقائد والمبادىء الجديدة التي تنشأ في كل مجتمع متطور نام ، كما أنهم يشاركون في صياغتها . كذلك مما لا شك فيه أن مثل تلك الاراء والمبادىء ، حتى التي يشارك اليهود في صياغتها ، قد تؤدي اذا دفعت الى نتيجتها المنطقية الى التشكيك في القيم التقليدية ، ومنها القيم التقليدية اليهودية ، ومن ثمة الى اضعاف « الذاتية اليهودية » . وهذا الامر ملحوظ بصفة خاصة بين الشباب ، ولا سيما بين شباب هذا الجيل في الولايات المتحدة الذي يتصف اكثر من اي جيل سابق بروح الثورة على كل ما هو تقليدي في الحياة الامريكية .

غير أن الصهاينة ، كما ذكرنا ، لا يتركون شيئا للظروف . ولذلك نجدهم قد تنبهوا لهذا الامر وحاولوا التغلب عليه بعدة وسائل : اما بالنقد والتجريح والتماس نقاط الضعف في المواقف الجديدة ، او محاولة اضفاء تفسير جديد على « الذاتية » و « القيم » اليهودية يكون اكثر ملاءمة لذوق شباب هذا الجيل ، او بالتسلل الى جماعات الشباب ودفعهم بالتدريج الى تأييد والتزام المواقف التي تخدم اغراض الصهيونية . والمنهج الذي يتبعونه للوصول الى ذلك الهدف متعدد الجوانب أيضا : فمن جوانبه دراسة « ميدان المعركة » . مثال ذلك أن « مجلس الاتحادات وصناديق الرعاية اليهودية » انشأ في عام ١٩٧١ « هيئة عمل » خاصة مؤلفة من قادة المجتمع والباحثين والعاملين الاجتماعيين ورجال الدين ، كلفت بزيارة ٣٥ مدينة في الولايات المتحدة لالتماس آراء المجتمعات اليهودية في هذا الموضوع بغية ايجاد الطرق اللازمة لتنمية الشعور بالذاتية اليهودية و « الالتزام اليهودي » . ومن جوانبه القيام بتجارب متفرقة ، تشمل الشباب وطلبة المدارس بوجه خاص ، للاهتداء الى أحسن الطرق لزيادة الاحساس بالذاتية اليهودية ، وهي تجارب تبدأ على نطاق محدود في اول الامر ، ثم تعمم بالتدريج اذا ثبت نجاحها . من ذلك أن الاتحاد اليهودي في دي موان بولاية أيوا قام بتجربة تنطوي على تهيئة الفرصة لواحد وعشرين من طلبة المدارس الثانوية والكليات من أجل أن يعيشوا حياة يهودية مكثفة في أحسن معسكرات الطلبة الصيفية اليهودية في الولايات المتحدة ، كما أرسل بعضهم الى اسرائيل ، ثم أعلن في الشتاء الماضي « أن التجربة نجحت ، وان اولئك الطلاب عادوا منها » ، على حد قول أحد موظفي الاتحاد ، « بالتزام اكبر تجاه اسرائيل وتجاه اليهود ... وبشعور بالمسؤولية لاعلام أقرانهم بتجاربهم واحساساتهم ، وبرغبة في المزيد من الدراسة والعمل والتأكيد على ذاتيتهم » .

والمؤسسات الصهيونية تسارع الى استغلال اية خطوة او حركة يقوم بها افراد او جماعات يفهم منها تأكيد الذاتية اليهودية ، فتنشر اخبارها على أوسع نطاق مهما كانت الخطوة او الحركة محدودة او فاشلة . من ذلك الضجة التي اثارتها حول طالب عمره خمس عشرة سنة من كليفلند قام في الصيف الماضي بحركة لحمل زملائه على التغيب عن المدارس اثناء الاعياد الكبرى اليهودية والمشاركة في الطقوس الدينية بدلا من ذلك ، اذ بالرغم من ان حركته فشلت ولم يشارك فيها سوى ١٠ في المائة من ابناء اليهود في المنطقة التي يعيش فيها ، فقد نشرت اخبارها على نطاق واسع لغرضين : بالنسبة الى المجتمع اليهودي ، اظهار الطالب بمظهر البطل الصغير الذي يناضل وحيدا من اجل هدف يؤمن به (تأكيد الذاتية اليهودية) تشجيعا لغيره من الاحداث على الاقتداء به ، وبالنسبة الى المجتمع غير اليهودي في اظهار المجتمع اليهودي بمظهر غير المكترث للشعائر اليهودية ورفع صفة التعصب عنه (بالرغم من أن هذا المجتمع ان لم يستجب للطالب في هذه الحالة لسبب ما ، فان هناك عشرات من الحالات التي تعرف الصهيونية كيف تدفعه الى الاستجابة لها اذا شاءت) .

ومما يدل على أهمية موضوع الذاتية اليهودية بالنسبة الى الصهاينة ان اتحاد المؤسسات الخيرية اليهودية اجرى دراسة استغرقت ثلاث سنوات